

أحمد محمد وافي

طرحة عشق

خواطر

Khaoula
Abid



صرخة عشق

صرخة عشق

أحمد محمد وافي

أحمد محمد وافي

معلومات الكتاب

نوع العمل: خواطر

اسم الكاتب: أحمد محمد وافي

تصميم الغلاف: خولة اعبيد

تعبئة و تنسيق: خولة اعبيد

تاريخ الإصدار: 2024

صفحة الكاتب:

[Ahmed Mohamed Wafy](#)

حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

الإهداء

عزيزي القارئ، ربما هذا أغرب إهداء ستقرؤه
طيلة تجولك بين أروقة الكتب. ولكن، لا بأس.
أهدي هذه الخواطر إلى شخصيتي المفضلة من
رواية "تعافيت بك" خديجة. فأول شيء خطته
أناملي كان خاطرة صغيرة لها، ومنذ ذلك الحين
وأنا أكتب بسبب حبي لها!

أحمد محمد وافي

شكر

أشكر الأخت الغالية خولة اعبيد على ما بذلته من
جهد، فلولا جهدها ما كنت فعلت شيئاً. أشكر أيضاً
كل من أمدّني بالدعم وأمطرني بأطيب العبارات.

السعادة لقلوبكم جميعاً.

مقدمة

قال نزار قباني: "الحب في الأرض بعضٌ من
تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه" وها أنا ذا
أخترع حبًا يحلق بعيدًا بقلبي، ولا عزاء للواقع
اللعين.

-1-

عزيزتي يا صاحبة الاسم الرائع! أود أن أخبرك
أن اسمك بات يحتل جزءا لا بأس به من قلبي.
حسنا لا تنزعجي يا فتاة، فالجزء الآخر تستوطنه
عيناك. لقد غزت قلبي بكل ما فيك يا عزيزتي.
لكن، عيناك واسمك يحتلان الجزء الأكبر. في
الحقيقة كل يوم أرده على لساني، أستشعر عذوبته
بقلبي قبل أذني. أصبح اسمك يحتل كل ملزمة
أدرس بها، حتى كفي لم يسلم من ذلك! أقسم أنني
أكتبه مرارا وتكرارا من شدة جماله، أحب اسمك
وبشدة، أما عيناك فهي وطني الذي أوي إليه عندما
أهيم على وجهي. عيناك وطن وأنا له أنتمي يا
عزيزتي. سبحان من جمل عيناك بهذه الطريقة
الساحرة التي تخطف قلبي كل مرة أراك بها.

عينك لي ملجأ وأنا دونها يتيم. أحبك جداً، أحب
وقتي معك، أحبني لأنك تحبينني. أحبك يا من
تملك اسما مني وأضحى ولي أمري، أحبك يا
صاحبة الاسم الرائع.

-2-

الخامسة والرابع الآن، تظهر الشمس على استحياء غير أبهة بظلمات الأمس. تأتي ومعها يوم جديد مليء بالكثير من المغامرات، تأتي لتؤكد لنا أن كل ظلمة وراءها نور وفرج من عند الله. نسمات الصباح مع رائحة مخبوزات أمي وتغريد العصافير ومقطوعات تعزف على أنغام "بيتهوفن"، هواء معبق بالتناول والأمل، السحب تتحد مع بعضها لتكون لنا منظرا رائعا، كم أعشق السماء، لا أجيد التصوير ولكن عندما يتعلق الأمر بالسماء فأنا قادر على فعل أي شيء، ربما أكثر لوان أحبهما، لون السماء ولون عينيها، لا نقاش في ذلك، فعيونها مركز إلهامي يا أصدقاء. أهم ما في الأمر، أن نصب اهتمامنا على تلك التفاصيل

الصغيرة، سعادة مباشرة من عند الله، لا تنتظر السعادة من أحد، إما أن تصنعها لنفسك، أو تتعمق في خلق الله والطبيعة. فلا شيء أكثر راحة من ذلك، لا ترهق نفسك في التفكير كثيرا، فكل شيء سيمر مهما طال الزمان، فقط تعلم من أخطاءك، لا عيب في أن نخطئ مرة مرتان ثلاث مرات، إلى أن تتعلم لا عيب في ذلك، العيب الحقيقي هو أن نستسلم، وتأكد دائما أن الله يمهل ولا يهمل، كونوا بخير أصدقائي، ابحثوا عن عيون، فمنذ وقوعي بعينها، وأنا بحال جيد.

-3-

عزيزتي، الآن فقط أدركت أن ثمة مشاعر تنبت في قلبي تجاهك، لا أعلم متى؟ وأين؟ ولكنني أحب ذلك وبشدة! أحب ذلك الشعور الذي يستوطن قلبي حينما أجدك أمامي. دعيني أكن صادقا قليلا، أنا من يتعمد أن يراك. أضحي الفؤاد يحبك يا صاحبة الاسم الرائع الذي توغل داخل أعماق قلبي، فلم يكن ذكرك أمامي يمر مرور الكرام. بل يفعل الأفاعيل، أعجز عن وصف ذلك الشعور الرائع! ولكن أتذكر تلك الابتسامة الحاملة التي تنير وجهي، ويرفرف قلبي فرحا، ها أنا خنت عهدا جديدا من عهود لم أحنها إلا لأجلك، ولكن جميعها محببة لقلبي، يا عزيزتي الآن أحب أن أنادي بخائن، إن كانت تلك الخيانة تكمن بداخلها عهد

الزهد الذي خنته لأجل عيناك، أحبك كثيرا يا فتانة
العيون.

-4-

عزيزتي! لا أعلم لماذا أدعوك بعزيزتي وأنا لم
يسبق لي معرفتك من قبل؟ في الحقيقة لا أعلم من
تكونين؟ ولا أعلم لمن أكتب هذا الكلام؟ ولكنني
أكتبه على أي حال. حسنا، دعينا من هذا الآن.
ودعيني أخبرك لماذا أدعوك بعزيزتي. في الحقيقة
ثمة شعور يداعب قلبي لا أعلم ماهيته، ولكنه
يغمرنني بالسعادة التي أفنقدها. شعور يداعب ذلك
المسكين القابع بين أضلعي، أحب التفكير بأمر
المستقبل الذي سيجمعي بك، في أول لقاء بيننا!
في المرة الأولى، التي ستخطف عيناك بها قلبي،
في ذلك اليوم الذي سيكتب به اسمك جوار اسمي،
في أول عناق بيننا وما سأخبرك به في تلك
اللحظة، في الحقيقة لا أحب العناقات ولا التلامس

بشكل عام، ولكنك مستثناة من كل تلك القواعد التي
أحد بها نفسي، سوف آخذ بيدك نحو عالمي الذي
لن تنبت زهوره دون وجودك به، نحو ذلك البيت
الهادئ في المنطقة البعيدة عن الجميع، عزيزتي،
يا لها من كلمة رائعة جدا! ولكنها لن تكون كذلك
إن ناديت بها غيرك. ربما إن فعلت ستكون تهكمية
لا أكثر. فلا غيرك عزيزة، ولا غيرك تستحق أن
تكون عزيزتي، أحبك يا فتاة العيون.

-5-

عزيزتي يا صاحبة العيون البنية. أتيت اليوم
لأخبرك عما يجول بخاطر قلبي. لقد بثني ما به
وجئت إليك برسالة، في البداية هو سعيد جدا
بوجودك، ويحب الوقت الذي يقضيه معك. أما
بعد، عزيزتي أنا أحبك، لا أعلم متى؟ وأين؟
وكيف؟ ولكنني كلما رأيتك يبدأ قلبي بالخفقان.
عيناك البنية تداعب أوتار العشق خاصتي، دفء
روحك يتوغل إلي ويغرقني بالأمان، كل ما أعرفه
يا عزيزتي أنني أريد قلبك جوارِي ويمنحني عناقاً
يكون بمثابة المرسى. حسنا هذه هي رسالة قلبي
لك. أما أنا، فلست أدري ما أقول، فعندما تعانق
عيني خاصتك ينعقد لساني عن الحديث، ولكن
ربما أقول كما قال نزار: «ماذا أقول له لو جاء

يسألني أن كنت أهواه... إني ألف أهواه» إني ألف
أهواك عزيزتي، وأنه من بين الجميع ألفت
وجودك، واستأنست روحك، أضحيت أنا الذي لا
بيالي بشيء جل ما يشغله عيناك، أنا وقلبي نحبك
يا بنية العيون.

-6-

عزيزتي يا صاحبة العيون البنية، أعلم أنك تسكنين
هنا بمخيلتي. لا شيء يدل على أنك في واقعي
البتة، ربما حبي لك وهم. ولكن يظل حبك لحن
يعزف أروع السمفونيات على أنغام قلبي. ربما لم
أرك من قبل، وربما أيضا لن تسنح لي الفرصة
في رؤية محياك يا فاتنتي. ولكن حتما ستظلين
هنا، ساكنة بقلبي، تمديني بالأمل برغم أنف اليأس
الملتف حولي. عزيزتي أشتاق إليك وبشدة، أشتاق
إلى عبيرك الذي كان يداعب أنفي، أشعر بالوحدة
من دونك، أعلم أنك لم تكوني يوما. وربما حديثي
هذا غير منطقي، فالخيال سيظل خيالا مهما
تعددت ألوانه. ولكن مؤخرا بت أفتقدك، لم أعد

أشعر بوجودك بجانبى كما السابق، يبدو أنني
سأستيقظ.

-7-

يوما ما وقد أجدك تلاشيت من الوجود، أو دعيني
أقول ربما تزهق روح خيالي. في الحقيقة لم يعد
ثمة أمل في رؤيتك، ربما سأسطر بيدي نهاية
قصتنا قريبا. لم يعد يروقتي شيء، آسف على هذه
الكلمات، ولكن الفراق هو مصيرنا الحتمي الذي
لن نستطيع الفرار منه. عزيزتي أخبرك أنني لن
أنسى أي يوم جعلتني فيه سعيدا، تعلمين أنني
متقلب المزاج. ربما سأحذف رسالتي تلك، ربما
أقوم بنشرها، ربما أعود أكتب عنك مرة أخرى، لا
أستطيع أن أجزم بشيء الآن. ولكنني سأظل
أذكرك دائما، أعدك بذلك. دعيني أخبرك أنني
أحبك، فربما يعجز لساني عن نطقها بعد هذه
اللحظة.

-8-

عزيزتي، اليوم فقط أدركت أن ذلك الصخب بقلبي
ناجم عن حديثي معك. أخبرتك مرارا أن ثمة شيء
مريب أشعر به، الآن أدركت أنه لم يكن سوى
الحب! أجل فأنا عندما أحب أخشى. -أخشى
الفراق- لذا؛ أخشى فراقك وبشدة، ولكنني في
النهاية استسلمت لصهوة قلبي الذي أجمني
بخفقانه. عزيزتي أنا أحبك، لن أكابر بعد اليوم،
فقط كل ما أريده الآن أن أكون جوارك، حيث
مسكني وراحتي، حيث يدك التي تربت على
ظهري، ودفء عنقك الذي يحتويني، لقد وشممت
كل شاردة وواردة تخصك على جدران قلبي بحبر
العشق العتيق. أريد أن أكون معك إلى الأبد، فحيث

أنت تكمن راحتي. فيا عزيزتي هلا رأفت بحالي،
وأطربت أذاني بكلمة "أحبك"؟

-9-

عزيزتي، هل أطربك أحدهم من قبل عن طريق الاعتراف بحبه؟ حسنا لا يهم، دعيني أنا أطربك به اليوم، دعيني أخبرك أن من بين الجميع في هذه الحياة اخترتك أنت لأمنحك قلبي. كنت أتساءل في قرارة نفسي هل يا ترى سيأتي من يستحوذ علي كليا ويسلب مني قلبي وعقلي وكل شيء؟ بالطبع كانت الإجابة لا، حسنا أنا نرجسي قليلا، متواضع أيضا، ولكن النرجسية كانت لها الغلبة في أمر كهذا، ولكني لم أكن أعلم أنني سأقع يوما. بل، والأدهى أن أقع بهذه الطريقة، يا فتاة لقد جعلت مني رجلا لا يهتم لأمر أحد فقط يحدثك المساء كله دون أن يورقه شيء. جعلتني قوي الملاحظة، لا أفوت لا شاردة ولا واردة تخصك، إلا ووشمت

مضمونها داخل قلبي، لم أكن أتوقع أن يأتي أحدهم
ويجعلني ببسمة واحدة أغدو سكرانا. عزيزتي يا
صاحبة العيون البنية، لقد حرم الله السحر، ولكن
عيونك سحرها حلال. والله لا يملك علي أحد تأثيرا
كالذي تفعله عينك، عزيزتي أنا أحبك جدا، بل
أهيم بك عشقا والله، في الحقيقة كنت أود أن
أخبرك إياها كما يفعلها بعض القراء مع محبيهم،
وأقول لك "إيكادولي" أو "مر أك"، أو شيء من
هذا القبيل. ولكنك والله لا تستحقين اعترافا كهذا
يلوك في أفواه الجميع. أنت تستحقين شيئا لا يقال
إلا لك وحدك. أحبك يا من ملكتها على خزائن
قلبي، وجعلت لك كل الحق أن تتصرفي فيه
كملكة. أهديك قلبي وأنا كلي يقين أنه لن يمسه
سوء ما دام بين يديك.

-10-

في الحقيقة تاهت مني أفكاري هذه المرة، عقلي
مشتت لدرجة تجعلني أفكر بالماضي، ولكن مهلاً
لن استسلم بهذه السهولة، فهناك شخص ما يستحق
أن أكافح وأحاول من أجله، يستحق أن أبذل
قصارى جهدي لأرى الابتسامة تملو وجهه،
للوهلة الأولى تعتقدون أنني أتحدث عن بُنية
العينين. لا، بل هي أمي. أمي التي أهملتها في
كتاباتي، بالرغم من أنها أحق الأشخاص في
الكتابة عنها. كان من المفترض أن أكتب لها، لها
وحدها، ولا يتشارك معها أحد أي من كتاباتي،
ولكنني أهملتها، تَبّاً لأي فتاة تجعلني أنسى أمي،
تَبّاً لكل شيء في سبيل سعادتها. عندما كنت أكتب
عن الحب، كانت الكلمات تقع على مرمى قريب

من بصري، ولكن الآن، جميع الكلمات مشفرة،
غير قابلة للتدوين، ثمانية وعشرون حرفاً
عاجزون أن يكتبوا جملة واحدة أصف بها أمي.
التي مهما تحدثت عنها لن يسعني الوقت لأذكر
ولو جزءاً بسيطاً من حبي لها. حقاً لا أجد ما أقوله.
وأي شيء يُقال في حبي لها!؟

أمي! أحبك بطريقة تجعلني عاجز عن وصف ما
بداخلي، ولكنني أحبك، أحبك أنتِ قبل الجميع،
فأنتِ الغالية والحبيبة الأولى مهما تعددت
الحبيبات.

-11-

عزيزتي يا جميلة الملامح، أردت فقط أن أطمئن
عن حالي فأتيثُ لأطمئن عليكِ، فأنتِ حالي وكلي.
أنتِ ذاك الشعاع الذي يقبع بقلبي ليزيل ظلامه،
تلك النقطة البيضاء من بين خطوطٍ متكدة تتشح
بالسواد القاتم، أتيتُ لأخبرك أنني دائماً هنا معكِ
ولن أدع كفك يفلت من كفي أبداً، فسعادتي تكمن
أينما كنتِ أنتِ. أتمنى أن أظل في كنف قلبك دائماً.
أحب أن يكون مأواي هو ذاته قلبك يا عزيزتي،
أحبك يا جميلة الملامح.

-12-

لماذا يا عزيزتي؟ لقد أخبرتك مسبقاً أن الأوان قد فات وذبلت الزهور وقضي الأمر، أخبرتك أن فتيل عشقك الذي كان يتوج كلما رأيتك قد خفت ولم يعد يثار. أخبرتك أن مساراتنا لن تتلاقى مجدداً، واليوم! لماذا عدت أفتش عنك؟ لماذا رق قلبي مجدداً؟ ألم يقسم على الزهد؟ ولكن تبا، لكل شيء فعلتيه وستفعلينه. أصبح كل ما يهمني هو عودتك، الآن أمرر أصابعي على شاشة الهاتف، أقرأ منشوراتك، تعليقاتك هنا وهناك، الصور الخاصة بك، اسمك المحبب إلي. اشتقت إليك. أجل، لن أخفي حبي لك مرة أخرى، لقد عاد قلبي ينبض مجدداً. ذلك الصقيع الذي كان يستوطنه قد

ذاب! اشتاق إليك عزيزتي، وأمل أن يكون على
قدر اشتياقك لي!

-13-

الحب، ليتها كلمة تخرج وكفى، بل لها سحرها الخاص على المستمع والقائل أيضا، كلمة تكفي لإخماد نيران متأججة في الصدور، كلمة قادرة على التحليق بمن يسمعها من شخصه المفضل نحو السماء، تجعله يشعر وكأنه فراشة تتنقل بين أزهارها المفضلة، هي كلمة ليست هينة البتة، ولكن في الحقيقة كنت محرجا قليلا من التفوه بها، فذلك كنت استخدم التلميحات وأشياء كهذه. وقد كانت تلك التلميحات قادرة على دفع المستمع نحو براكين العشق التي كانت تثور بداخل قلبي. ولكنه كان يمثل أنه لا يفهم، كنت آتي له بتلميح آخر لعله يستكشف حبي من بين الكلمات، ولكن كان قلبه كتله من الجليد أقسمت ألا تذوب. نعتة بالغبي

فأحب الاسم، يا ويلتي سيصيبني هذا الأحمق بالجنون. حسنا، تملك الشجاعة قليلا وأخبرته بحقيقة تلميحاتي، بالتأكيد هو كان يعلم ولكنه كان ينتظر مني أن أرميها على مسامعه، هذا حقه بالتأكيد، فكل محب ينتظر سماع كلمة أحبك من محبوبته. ولكنه كان لا يستحق ذلك، فلم أكن يوما حبيبا له، فقط نرجسيته كانت تدفعه نحو مقولة أنه الأفضل، يحب أن يرى الحب في أعين من هم حوله، وكنت قليل الحديث معه ولا أعطيه اهتماما كثيرا، ليس لأنه طبع في وهو الانطواء، بالتأكيد نرجسيته رفضت ذلك، كيف لشخص أن يتجاهله وهو يرى نفسه محور الكون، بدأ يقترب قليلا وتعلقت به قليلا، أصبحت أهتم به عشقا. ولكن هو لم يكن يهتم في الأمر سوى أن يجذبني نحوه،

لتكتمل صورة أنه الأفضل -في نظره- وعندما
اقتربت، أصبح سرايا، تركني بمفردي أواجه
حماقة عالم لم أنتم له يوم، وكنت اتخذته سبيل
نجاتي، ولكن لم أكن أعلم أنه سيكون سبب هلاكي.

-14-

ها أنا ذا، أقع مجددا في بحر العشق اللامتناهي، -
بحر عيونها- وما أجمله من بحر! أتشرب كل إنش
من وجهها. حالة من السكر تلبسني، ولكنه سكر
حلال بفعل عيونها. أعشق لحظة لقائي بها، طوال
اليوم أغدو مشتاقا لهذا اللقاء، تعب اليوم يهون
بنظرة حب منها، آتي إليها مثقل بالهموم فتنتشني
بعيونها من قوقعتي، وتمد يدها لأعانق كفي بكفها
وتأخذني إلى عالمها المليء بالحب والسعادة. لم
أعرف الهزيمة يوما ولكن أمام عيونها لا أعرف
لا القوانين ولا الحدود. كل الطرق تصب بعيونها،
كل الطرق تريدني جوارها، أحبها وأحب عيونها،
تلك العزيزة صاحبة العيون البنية.

-15-

ألمم شتات نفسي، معذور أنا، لقد رأيت عيناها
للتو! سحرها الخبيث يتغلغل في أوردتي. ولكن،
هذا السحر لن يضرني. بل سيحولني إلى فراشة
تتنقل بين زهورها الحبيبة. سيجعل السعادة تتشبث
بي، سيجعلني أمحو كل حزن وندبة باقية لي من
ماض سحيق. أحبها وأحب عيناها ولا تحلو حياتي
بسواها، لم أفق بعد من السحر وهذا من مجرد
نظرة فقط! ماذا عسايا أن أفعل عندما تكون
زوجتي! حقا الأمر في غاية الصعوبة، هل سأظل
مسحورا هكذا طوال الوقت، بهذه الطريقة، لن
أفوق البتة! لا أبالغ، ولكن عيناها مسكني الآمن،
الحنان يستوطن عيناها، الأمل يكمن بها، السعادة
مقتبسة من اسمها، أحبها والله لا أريد غيرها.

-16-

ماذا عسايا أقول إن وجدتها أنت؟ لقد أجمني بريق
 عينيها عن الحديث. تسير ببطء، وجهها يعانق
 صفحات السماء، بسمتها تزين وجهها. يا إلهي!
 كأني أبله أمامها. لقد انتقلت إلي بسمتها، وكأنها
 عدوى أصابتني بمجرد تجول عيني على ملامحها
 المحببة إلى قلبي. كأن براءة الأطفال تتخذ عيونها
 مأوى، أما عفويتها فهي طرب. أنا الفارس الذي لم
 يستسلم من قبل لشيء، الآن أعلن وأنا بكامل قواي
 العقلية استسلامي أمام هاتين العينين المذهلتين.
 خطواتها البطيئة تلك تلعب على أوتار قلبي
 لتعزف أجمل السمفونيات. ليتها تعلم ما تفعله بي
 تلك الجميلة بنظرة عابرة من عينيها. أحبها، أحبها

بكل ما فيها، أحب أن أراني بعينيها فأغدو أخلق
في سماء السعادة.

-17-

الساعة الآن الخامسة مساء. غروب الشمس وإلقاء
 آخر شعاع ضوء على عين حبيبي، هذا هو وقتي
 المفضل، نجلس أنا وهي في حديقة منزلنا، تملأ
 المكان أزهار "التوليب" و"الأقحوان"، وزهرة
 "الهيدرانجيا" اللطيفة، ورائحة "اللافندر"
 تستوطن المكان. تتسل أشعة الشمس بخفة على
 عيونها البنية الأكثر من رائعة في هذا التوقيت. في
 الحقيقة هي رائعة في كل الأوقات، ولكنها تزداد
 جمالا فوق جمالها أثناء تشابك عينها مع أشعة
 الشمس لتكون لي لوحة فنية تنافس لوحات "فان
 غوخ" في روعتها، شعاع شمس خافت يتحد مع
 لون القهوة في عينها وتلك اللمعة التي لا تظهر
 لسواي تجعلني أبعد كالمغيب عن العقل أمامها، في

هذه اللحظة أبدو في أكثر حالاتي استرخاء
وسعادة، فأنا الآن أمام أعين حبيبتي التي اتخذتها
الشمس مسكنا، لا بد لهذه اللحظة أن توثق. أجل،
فلقد طبعت قبلة رقيقة على وجنتها، وبالفعل كنت
أخفي الكاميرا الخاصة بي في تلك الزاوية أمامنا
مباشرة، وها هي الخطة تسير كما خططت لها من
قبل، دعوني أخبركم سرا، الآن بحوزتي سبعمائة
وسبع وسبعون صورة للحظات مثل هذه، لقد
أسرتني صاحبة العيون البنية، وأنا أكثر من
مرحب بذلك!

-18-

عزيزتي يا صاحبة العيون البنية، اليوم وعلى غير العادة آت لك مثقل بالهموم، أريدك جوارى وبشدة لعلك تخمدين ثورة عقلي، أريد عنائك الدافئ واستكان رأسي على كتفك. ربما، أصبح بخير. لا أعلم حقا، ولكن جوارك يختلف كل شيء. عيناك وحدها قادرة على انتشالي من الظلام الذي يستوطنني، أريدك يا عزيزتي، اعذريني فلم آت لك اليوم ومعى ما يخفق له قلبك من الكلام، فالיום أنا من يحتاج إلى الإنصات، فكما قيل من قبل، الشبيه لشبيهه يطمئن وأنا لم أطمئن سوى في وجودك عزيزتي، وكما أخبرتك أنا من قبل، أنني أثق كل الثقة أن قلبي في مأمن ما دام بحوزتك، أحبك يا عزيزتي.

-19-

عزيزي الحب لماذا تردني خائبا على الرغم من
كرمك مع الآخرين؟! لماذا كلما طرقت بابك
وصدته بالأفقال في وجهي؟ متى ستردني مجبور
القلب؟، أنا الذي تجرعت كؤوس الخذلان والفراق
والألم من نويك وعندما يحدثني أحدهم عنك
أذكرك بكل الخير، أو لم استحق أن تغير قوانينك
مرة واحدة من أجل؟ وتكون حقيقية، أم أنها
ستكون كسابقتها وتأتي عند منعطف القدر
وتخبرني أن له رأيا آخر؟ فقط كلما أرده منك يا
عزيزي أن تهديني شخصا يحبني كما أحببتك أنت.

-20-

أخبروها أنني ما زلت أحبها، أخبروها أن برغم
تعاقب السنين إلا أن شمس حبها لم تغرب يوما من
قلبي وأن توهجها كل يوم في تزايد مستمر.
أخبروها أنه إن كانت مساراتنا متوازية لا يمكنها
التلاقي بنقطة ما، أنه ربما نقترّب قليلا ونلوح
بأيدينا، ربما نسرق عناقا طفيف ينادينا به
المستحيل قليل من السعادة، اللعنة أنا لن أنتظر
المستحيل ليقرّبني منك، لذا؛ يا عزيزتي، ابقى أنت
بموضعك، وأنا سأخالف القانون وأقترّب حيث
نكون متطابقان وليس متوازيان، سأتنازل عن ذلك
المسار الذي هو هدفي وأتطابق معك لنكون
مستقيما واحدا. فيكفي أنني سأكون معك أنت،
فكنت معي دائما، في حزني، فرحي، حلمي،

ودعائي، فستظلمين دائما أنيسة دربي يا ضي
العين!

-21-

أفتقد نفسي، أسلك دروبًا مبهمة، لا أعرف أين ومتى سأحط الرحال، ولكن على كل حال شبح النهاية يلوح لي من بعيد، أكاد أرى ابتسامته الساخرة من موقعي هذا، افتقد الإرادة الجامحة التي كنت أتغلب بها على ذلك الوحش الضارب، أفتقد الأمل، ذلك الشعاع الذي كان يساندني. قد خفت توهجه وتحول إلى شعاع يأس قاتم يغزو كل إنش بجسدي، يبدو لي أنها النهاية بالفعل، فخصمي يفوقني قوة وعقلًا! لا مفر من الجحيم بعد اليوم، وأمل أن يصمد صقيعي قليلًا حتى أكون قد حاولت إلى النهاية. ولكن كان للقدر رأي آخر يا عزيزي كما عودنا ولكن اليوم يختلف، لم يدهسني القدر كما تعودت منه! بل أمدني بسيف بتار لا

يرى سوى إنقاذي، مدّ لي يد العون بالنهاية، رأني
لم أستسلم حتى آخر رمق بالمعركة لذا كان رحيمًا
بي، حاول ألا تستسلم يا عزيزي فكما نعرف أن
دائمًا للقدر رأي آخر، والقدر من عند الله، والله
دائمًا عند حسن ظن عبده به.

-22-

حينما أمسكت بقلمى، وجدت نفسي أكتب عنك.
أكتب لماذا تركتني وحدي؟ لماذا لم تعطيني فرصة
لكي أعبر لك عما بداخلي؟ فقط قلت لي:
- "اتركني، لا أريدك. أنا لا أريد أن تضيع وقتك
في التفكير في شأني. أنا لم أحبك ولم أفكر بك من
قبل. اتركني واذهب، ستجد من يحبك حقاً. أنا لا
أحبك".

فعجز لساني عن الرد، واكتفيت بالقول:
- "أحاول أن أنساك".

وحتى الآن، لا أستطيع نسيانك. فكيف يمكنني أن
أنساك وقد كنت سبب سعادتي؟ عندما كنت أفكر
بك، كنت أشعر بفيض من السعادة يغمرني. أما
الآن، عندما أتذكرك، أشعر بالحزن ولا أستطيع

التعبير عما في داخلي. نفسي حزينة، وأصبحت أحب الحزن والوحدة؛ لأنك أنت السبب في ذلك.

- "إذا، هل ما زلت تحبها؟"

- "لا أعلم. فقط أتذكرها كل يوم، وأرسم في خيالي قصة سعيدة أعيشها معها، رغم علمي أن هذا لن يحدث أبدًا. ولكني أحاول أن تكون هي سبب سعادتي، فقط لأنني كنت أحبها حقًا".

- "أيها الأحمق! هي لا تحبك، افهم ذلك. لقد قالت لك: 'أنا لا أحبك'. ابتعد عنها ولا تعذب نفسك. هي لا تستحق كل هذا الحب. أنت فقط تعذب قلبك. ابتعد عنها، وليعوضك الله بفتاة تحبك بمقدار حبك لهذه الفتاة وأكثر، وتكون سبب سعادتك"

ثم أردُّ قائلاً:

- "لما حاولت أن أنساها، أراها أمامي، وإن لم
أجدها أمامي، أجدها في منامي. فيحن قلبي
مجددًا. لا أعلم ما هو الحل؟"

-23-

خارت قواي! لم أعد أستطيع التحمل أكثر من ذلك، تيارات الخذلان تتجرف نحوي بسرعة مُهيبَة، لم أعد قادر على المقاومة، ذلك الشعاع الذي كنت ألقبه بالأمل بات سهماً ينحر قلبي، لم أعد أستطيع فهم أي شيء. فراغ، فقط فراغ يستوطن عتمة ليلي، كنت آمل أن يكتمل اليوم على ما يرام، ولكن كالعادة عندما يبدأ يومي بالضحكات ينتهي بتهشمات لا حصر لها. كنت آمل أن يكون ليلي رحيماً بي، ولكن هيهات، فقط يوارى دموعي خلف ظلامه. حقاً سئمت كل شيء، أتمنى أن ينتهي كل هذا. عزيزي الموت ليتك تأتي لتتفقد حالي وتلتقني بين ذراعيك الحانيتين، ليتك تأتي

لتغيثني من براثن عقلي، لبيتك تأتي وتأخذني
معك.

-24-

ألمم شتات نفسي، بعدما بعثرتها آهات الكتمان،
أخبرتني من قبل أنني كالملائكة فلماذا بترت جناح
ملاكك يا عزيزي؟ لكن لا بأس، فأنت الشيطان
ولأنني ملاكٌ رأيت انعكاسي في صورتك، أما
الآن فانكشف كل شيء وظهرت الحقيقة. حقيقة أنّ
الشيطان سيظل كما هو ولن يتغير أبداً، ولو على
جناحي المبتور سأعيد حياكته مجدداً، أنا لنفسي
وسأظل لنفسي كل شيء، أشكرك يا عزيزي على
هذا الدرس القاسي.

-25-

أخشى أن يكون أكثر من لقاء عابر، فلم يلتئم جرح
أمس بعد، لن أنكر تلك الابتسامة التي لاحت على
وجهي عندما رأيتك، لن أنكر عزف قلبي على
طبول الفرحة أجمل عبارات السعادة. ولكنني
مازلت عالقا هناك، لم أستطع إلى الآن أن أتخطى
بشكل كامل ما حدث سابقا، فيا جميلتي إن اقتربت
قليلا، ماذا عساك أن تفعلي؟ هل ستعيدين الكرة
من جديد وتجعليني أغدو بقلب مهشم مجددا أم
ستساعديني على محو تلك الندوب التي ما زالت
قائمة؟ هل سأظل مشتاقا أم سيحل فجر سعادتني
على يدك؟ أخشى الاقتراب فأهلك، وأخشى
المراقبة من بعيد فأفلت زمام الأمور من يدي.

أخشى كل شيء، فهل ستكونين قادرة على طمأنتي
أم سأبقى متعبا هكذا؟

-26-

ضائع، كل السبل تودي بي نحو الضياع، أين أنا
من نفسي؟ تشتت، ضياع، انهزام، قهر، حزن ثم
لامبالاة. كالأنهار يصبون بمحيط حياتي، صراع
قائم بينهم جميعهم يريدون السيطرة على شخصي.
وأنا مستسلم لهم! لا أبدي أي رد فعل، كما الجسد
المسلوب منه روحه، أرجو أن تنتهي تلك المرحلة
اللعيينة لعل غوغاء عقلي تنتهي، فلم أعد قادرا
على المقاومة.

-27-

الفلاحُ الحقيقي يا عزيزي، هو تقوى الله، أن تكون
عبادتك اتباع لنهج القرآن الكريم، أن تعمل لبلوغ
جنة الخلد يا عزيزي، لا تكثرث لشيء آخر، هذه
الدنيا فانية لن تنفك بشيء. وكما جاء في قول الله
تعالى في سورة غافر «يقوم إنما هذه الحياة الدنيا
متاع وإن الآخرة لهي دارُ القرار». لذا يا عزيزي
لا تجعل الدنيا أكبر همك، الحياة الحقيقة تبدأ عندما
يلتفتك الموت، لذا اجعل دُنْيَاكَ هي الشهادة التي
ستصل بها إلى جنة رب العالمين.

-28-

يأخذني الحنين والشوق إلى صديق أفنقده، أفنقده
وبشدة. أفنقد أحاديثنا التي لا تخلو من الفكاهة،
أشتاق إلى صوته الذي لم يكل من طمأنتي كل يوم.
أشتاق إلى كل تنهيدة أخرجتها وهو جوارى،
أشتاق إلى يومي معه، أشتاق إلى كل شيء ينتمي
له.

-29-

أقف بنافذة غرفتي، أراقب أحلامي الضائعة، وهي
تلوح لي في الأفق ثم تتبخر كالسراب، أحلامي
التي لم يُكتب لها الخروج من محجرها، بالضبط
كالأشخاص الذين تركوني ورحلوا، تركوني على
حافة الهاوية. أحارب أفكار وُلدت من رحم
الهرطقة، كانوا لي يد العون، يؤيدون أي شيء
أقوم به، الدعم منهم كان كالنهر الجار، ولكن ذلك
النهر أبى أن يظل كما هو، وتلبسته حالة جفاف،
وأصبح في عداد الموتى. وبقيتُ أنا وحدي أحارب
جميع الجهات.

-30-

النجوم المتألئة، تعانق صفحات السماء، ليل
 سرمدى يزين حياتي، وحدي أحارب وجهات نظر
 لا تعرف ما تتفوه به. أحلامي وأدتها في قبو
 منزلي، اتخذت كوكب اللامبالاة موطنًا لي، لم أعد
 أهتم لشيء ولا بشيء. أصبحت أتوق إلى الليل
 وبشدة، الظلام يسيطر على الأجواء، الوجوه
 الكئيبة توارت عن الأنظار. وشاح الصمت يسيطر
 على الأجواء. أجلس على صخرة المستقبل الذي
 لن يأتي، تحملني رياح اللاشيء، تنجرف بي قليلاً
 نحو منعطف اللامعنى، تهب الرياح فتحملني
 معها إلى حيث تريد، وأنا لا أبالي. تتلقفني يد
 الواقع، لتنتشلني قليلاً من شرودي، تعنفي على ما

آلت إليه أموري، أصم أذني وأعود حيث أدراجي،
حيث الجحيم هناك.

-31-

الخوف! ذلك المُستتق البغيض الذي أعيش به،
أصبح يستوطنني، بل بالأحرى أصبحت أنا مقتبسًا
منه! حتى صرت أخشى كل شيء، وحتى
اللاشيء أخشاه! لا أستطيع الاقتراب من أحد،
فأشعر دائمًا أنّ سكين الغدر سينحر عنقي.
وسيكون الجحيم هو نهايتي! ربما هذا الشيء
يطمئني قليلًا، فصقيعي في برودته أشد من ذلك
الجحيم اللعين.

-32-

هناك نجمة تعانق سماء ليلي، والعرين استبدله
 الأسد مع القرد وأصبحنا نتنقل بين وشائج
 اللاشيء. يأتي شيء ما من بعيد ملامحه مُبهمة لا
 نعرف كهنه يجري بأقصى سرعة وإذا به يفاجئنا
 بانطلاق قوس الجهل من فمه نحو قلب القرد ليقع
 صريعًا ويحكمنا ذلك الملتئم الذي يتضح بعد ذلك
 أنه حمار!، أخبرونا من قبل أننا حالمين ولكنهم لم
 يعلموا أن ذلك كان حلمًا لن يتحرك خطوة واحدة
 خلف جدران الهرطقة، والآن ماذا؟ لا شيء،
 صديقي كان نائم جوارِي، استيقظ فرغًا وأخبرني
 أنه سمع الأسد في حلمه يزأر بعلو صوته ويطلب
 من الحمار المغفرة.

-33-

وفي النهاية أصبحنا كما الغير كأننا لم نسير يوماً
في شوارع تلك المدينة المتكدسة بالألغاز، أصبحنا
كأننا لم نسكنها من قبل. وكأن ذلك المنزل لم يكن
سوى وهم نسجته مخيلة المأوى، تشردنا مجدداً في
دروب الحياة، مسكننا ألقى تعويذة الفراق وخطاها
بأنامله وقالها بلسانه الذي كان دوماً يصدقنا بأجمل
عبارات السكينة والأمان. الآن، أصبحنا غرباء يا
عزيزي فلا داعي للهروب مجدداً من الحقيقة التي
كانت تتجسد لك دوماً ولكنك لم تكن تعيرها أدنى
اهتمام.

-34-

ألهمتني بحبك وتركتني دون موعد. لا ألوئك،
لأنك لم تحدثني قط، لم تحبني. أجل، لم تعدي بأى
شيء أعلم ذلك، ولكن كنت أرى في عينيك ما لا
ينطقه لسانك، كنت أرى نظرتك الحانية التي
تحتويني. كأنك تعتذر لي من سخافة العالم وظلمه
لي، كنت أتعلم التواجد بالأماكن التي تحط بها
قدمك، كنت دائماً هناك ولكنك لم تكن يوماً! نعم
كل ذلك كان من صنع مخيلتي تحت تأثير الحب،
أجل كنت تتردد على تلك الأماكن دائماً ولكن
الحب أعمى بصيرتي وجعلني أتخيل أنك هناك من
أجلي أنا ولا شيء آخر. كنا كخطين متوازيين،
يمكننا الاقتراب قليلاً ولكن لن نجمعنا نقطة واحدة
أبداً، كمرج البحرين لن يلتقيان أبداً. في الواقع لا

ألومك على شيء، كل شيء كانت ملامحه ظاهرة
للعيان، ولكني كنت كالمغيب عن الواقع، أعيش
في عالمك الوردى الذي صنعته بنفسى وجعلتني
أهم قواعده، فقط كل ما يؤرقني أنني أحببتك،
أحببتك دون التفكير بنتائج هذا الحب، كنت أود أن
أكون معك دائما ولكن للأسف لم يكتب لي ذلك،
أحببتك أكثر مما ينبغي، ولكني ما كتبت لك إلا
عندما اشتد على ألم الاشتياق!

-35-

ألم نتفق على الرحيل نهائياً؟، لماذا تركت لي
 ذكراك تـؤرقني؟ أنا مثقل بالهموم، لا أعلم هل
 مازلت على قيد الحياة أم أنني بين الممات ومرحلة
 اللاوعي، أجلس طريح الفراش، تنتشني ذكرى
 خبيثة من نقطة الفراغ الذي أحاول أن أستعطفها
 لتخفف عني الضياع نحو فجوة الهلاك، الحزن،
 القهر، الظلم، والخذلان يلوحون لي من بعيد.
 بيتسمون لي بسخرية، كنت وعدتهم من قبل أنني
 لن أقع ضحية لبرائتهم أبداً، ولكن هيهات، تجسدوا
 جميعهم بهيئة حبيب، كان يتشح برداء البراءة
 والعوض على المأساة التي كانت تدور بيني وبينها
 مناقشات تنتهي بانتصارها بالطبع، ولكني كنت
 نقي القلب، لم أنتبه لتلك النظرة الخبيثة التي كانت

تتضح يوما بعد يوم، لقد نصب شباك الحب
والخوف علي ببراعة، كنت كالغريب يحتاج إلى
وطن، وبالتأكيد تمسكت بالفرصة! كانت نهايتي
تتضح أكثر، كنت أراها في انعكاس عيني بعينه.
ولكني كنت أكذب كل برهان يأتيني، كنت أريد
المغامرة، شبح الهلاك يبتسم بظفر هناك، أراه
بتلك الابتسامة التي أمقتها، هنا اتضح كل شيء
كنت غافل عنه، ولكن الآن أنا مكبل بسلال الحب
اللعينة، الآن أنا أجلس بقطار الشرود الذي يودي
بي نحو الهلاك. تلك هي النهاية المناسبة لحياتي
التعيسة، هنا الجحيم بعينه ولا عزاء للنبلاء!

-36-

متى سأضع نقطة نهاية قصتنا، وأمنحها فصل
الختام، متى سأستطيع التخلص من تلك الفاصلة
اللينة، التي تكمن ورائها الكثير من الخيبات؟ متى
سأمحو ذكراك من عقلي، فذكراك ما زلت
تستوطنه يا عزيزي، تبا لكل شيء، لقد سئمت!
متى ستربت علي أيادي السعادة؟ متى ستشرق
ابتسامتي من جديد وتشق وجهي؟ متى ستوقف
عبراتي؟ أعندما يحل الظلام علي؟ أعشق الليل
بالتأكيد، وهذا لأنه يوارى خلف ظلامه تجاعيد
وجهي وعبراتي المناسبة عليه، متى سينقضي كل
هذا وأعود كما كنت؟ بهذا أكون أكذب على نفسي
بالتأكيد، لا شيء يعود كما كان، وكل ما أطلبه
منك يا عزيزي الزمان، أن تهديني يوما لا يوجد

به آلام، وأن تمنحني فصل الختام لقصتي التي
سئمتها بحور العالم أجمع فوحدها من كانت شاهدة
على كل ما ارتكبته بي.

-37-

يا عزيزي لا تقترب. لا تغرك تلك الابتسامة
الهادئة التي تزين وجهي، ولا تغرك عيناى اللاتي
يفضن بالحنان، ثم لا يغرك مظهري الهادئ،
فهناك حروب تدور في فلك رأسي. حرب طاحنة
ستفتك بك إذا حاولت الاقتراب، أنا كالنار يا
عزيزي نقترب منها قليلاً حتى تدفئنا حرارتها،
لكن لا نقترب كثيراً لكي لا نحترق بلهب ألسنتها.
لذا لا تقترب كثيراً فخلف قناع الهدوء تكمن
مناهات قادرة على الولوج بك نحو الجحيم، لا
تقترب يا عزيزي، فأنا أرض يابسة من الداخل لا
تصلح للحياة.

-38-

يا عزيزي أنت لم تكن كغيرك يوماً، جميعهم كانوا
عابرون، أما أنت فاستوطنت القلب وأبيت الرحيل.
تراودني كل يوم ذكرى قديمة تداعب قلبي وتعزف
على تعابير وجهي أرقى الابتسامات، مازلت
تسكنني على الرغم من الوقت الذي مضى على
الفراق، مازلت أتذكرك. مازلت أحبك! يا لجنوني
مازلت أهدي قلبي لمن لفظ مني قبلة الحياة
وأهداني أشواكها، مازلت أراك عالمي! هل تتذكر
يا عزيزي ذلك اليوم الذي أخبرتك فيه عن
أمنياتي؟ بالطبع لا، بالتأكيد أنت وشدتها في قبو
النسيان، ولكن على أي حال مازلت أتخيلك
بأمنياتي، مازلت أنتظر قدمك، فهلا رحمت قلبا
بيكي كمدا على فراقك وأنتيت؟

-39-

عزيزتي يا صاحبة العيون البنية، متى سيكتب لنا اللقاء؟ أو بالأحرى هل سيكتب لنا اللقاء أم أن مواعده لا يوجد سوى بمخيلتي أنا؟ أكره الانتظار ولكن حبي لك يغلب أي شيء، لذا لا بأس من الانتظار، فكل أرق سيزول عندما ألتقي بك، فنظرتك الحانية تشعرني وكأن هناك يد خفية تربت على قلبي، عزيزتي لقد أصبحت جد قريباً من الهاوية، لا أحد هنا، لا أحد يشعر بي سواك أنت، لقد تهشمتُ دونك عزيزتي، أمل بلقاء قريب يداوي عبء الترحال بين دروب المعاناة. عزيزتي، أريدك جوارى وبشدة.

خاتمة

تمهل يا عزيزي، قبل أن ترغم قلبك على خوض تجربة أنت تؤمن كل الإيمان أنها لن تتجح وستحطم قلبك إلى أشلاء - وهذا أقل شيء يمكن أن يحدث- فهناك من تتحول قلوبهم إلى رمادٍ يتناثر بفعل الرياح! لذا حافظ على قلبك يا عزيزي والسعادة لك.

انتهى بفضل الله

بتاريخ 04 مارس 2024
بقلم أحمد محمد وافي

طرخة عشق

ها أنا ذا، أقع مجددا في بحر العشق
اللامتناهي، بحر عيونها وما أجمله من
بحر! أتشرب كل إنش بوجهها، حالة من
السكر تلبسني، ولكنه سكر حلال بفعل
عيونها، أعشق لحظة لقائي بها، طوال
اليوم أغدو مشتاقا لهذا اللقاء، تعب
اليوم يهون بنظرة حب منها.

أحمد محمد وافي